حديث الأحرف السبعة (دراسة لغوية)

د. محمود عبد الله جفال الحديد *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٨/١١/٩ تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٨/٦

ملخص

يتناول هذا البحث التأويل اللغوي ومواقف العلماء من حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم):" أنزل القرآن على سبعة أحرف". فقد أجمع العلماء على أن الأحرف تعني (الأوجه)، ويرى معظمهم أنها تعني اللغات / اللهجات العربية ليتحقق التيسير المرجو لهذه الأمة لقراءة كتاب ربها وفهمه. ويرى أكثرهم أن هذه اللغات متفرقة في قراءة القرآن، ولا تعني أن القرآن له سبعة أوجه مختلفة. وروى العلماء القدامى ألواناً من الاختلافات في القراءات القرآنية التي عزوها إلى هذا الحديث غير أن هذه الاختلافات لم يؤد أي منها إلى تناقض في دلالات الآيات؛ إذ إن بعض هذه الاختلافات كان صوتياً يعزى إلى تنوع اللهجات العربية. وأقر معظم الباحثين المحدثين ما ذكره القدماء وإن كانت هناك محاولات لتقديم أوجه مختلفة، غير أن جلّها مّما ذكره علماؤنا القدامى.

Abstract

This paper tackles mainly the linguistic interpretation of the Prophet's Tradition "The Qur'an was revealed in seven ahruf" by which ahruf means aspects or dialects. Arab linguists, among others ,believe that these aspects which are represented in various readings of the Qur'an , narrated and attributed to the Prophet(Peace be upon him). More over ,these seven aspects conform to various aspects of Arabic (i.e. grammar and linguistics).Most modern scholars agree with old ones on the notion that disparities in various readings of the Qur'an do not contradict with each other.

* قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

روي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، وذكر علماء الحديث هذا الحديث الذي ورد في روايات عدّة، ومنها ما ارتبط بمناسبة قيل هذا الحديث. وقد تلقف علماؤنا القدامى الحديث بالتفسير والتأويل والدراسة، ولم يقتصر الأمر على المحدثين من رواة وعلماء فحسب، وإنما اهتم به علماء التفسير والقراءات القرآنية واللغة لعلاقته المباشرة بلغة القرآن الكريم قراءة ونحواً ودلالة. وكان نصيب التأويل اللغوي كبيراً في أقوال هؤلاء جميعاً. ويلحظ الدارس أن هناك اختلافات في تأويل العلماء القدامى على أن ما اتفقوا عليه أكبر مما اختلفوا فيه، وكذلك نلحظ أن عدداً من الدارسين المُحْدَثِين أولوا هذا الحديث عناية كبيرة؛ فمنهم من وافق ومنهم من اختلف مع ما ورد عن العلماء القدامى من تأويل.

بدأ الدارسون جميعاً من قدامى ومُحْدَثِين – في تأويلهم لحديث الأحرف السبعة ببيان دلالة كلمة/ أو مصطلح (حرف) الذي يحمل معاني عدة، ومنها: وجه، ولغة (التي تعني لهجة أيضاً).

ولهذا نرى أن أكثر الدارسين قال عن السبعة أحرف إنها سبعة أوجه و/أو سبع لغات. ثم نشأ الخلاف في تأويلهم بيان الأوجه السبعة، وكذلك اللغات السبع، على أن منهم من اختلف حتى في دلالة العدد (سبعة) بأن يكون قد عني به حقيقة العدد، أو هو للتكثير؛ ذلك أن لغات/ لهجات العرب هي في حقيقة الأمر أكثر من سبعة. وقد أحصى بعض المتقدمين العدد إلى خمسين، ويشمل إلى جانب اللهجات العربية اللغات غير العربية المعروفة لديهم آنذاك، وهي الفارسية، والرومية، والنبطية، والحبشية، والبربرية، والسريانية، والعبرانية، والقبطية.[١]

الحديث ورواياته

تعددت روايات حديث الأحرف السبعة، ولعلها عدة أحاديث قيلت في مناسبات اقتضاها تنبيه المسلمين إلى اختلاف تلقيهم (نصوص) الوحي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أن اختلاف ألفاظ الحديث لا يغير من جوهرها، وهو قوله عليه السلام:"سبعة أحرف" أو/و "الأحرف السبعة"، ويلاحظ أن عدد الصحابة – رواة الحديث – محدود.وقد أحصى عبد الصبور شاهين في كتابه القيم (تاريخ القرآن) عدد الصحابة رواة الحديث بخمسة عشر صحابيّاً. فذكر رواياتهم ونقدها[٢]. وقد ذكر البخاري حديثين فقط (برقم ٤٩٩١، ٤٩٩٢) أحدهما من رواية عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما)، وقد روي مختصراً، ونص الحديث: " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[٣].

والحديث الثاني برواية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه، فقلت: كذبت، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد

---

(١) السيوطي، **الإتقان** (٦٣/٢) قال أبو بكر الواسطي في كتابه (الإرشاد في القراءات العشر): في القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش وهذيل وكنانة... الخ.

(٢) عبد الصبور شاهين، **تاريخ القرآن**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢،٢٠٠٦، مصر، وانظر نصوص هذه الأحاديث ونقدها في الملحق الذي خصصه المؤلف مرتبا الأحاديث حسب رواتها، ص ٢٧٩-٢٩٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ٢٨/٩، وانظر:الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ت ٢٦١ هـ، **الجامع الصحيح المعروف بصحيح مسلم** (دار الفكر،د.ت،بيروت)،باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ٢٠٢/٢.

أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه".(١)

وروى غير البخاري الحديث / الأحاديث بروايات قد تختلف إما بالنقل عن الرواة من الصحابة وغيرهم، وإما بتغيير لفظ أو عبارة، فقد ورد في صحيح مسلم الحديث برواية أُبي بن كعب أنه سمع رجلاً يقرأ "قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه،" فلما ذهبوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمعهم جميعاً وأقرهم على ما قرأوا، ثم خاطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبي بن كعب فأعلمه أنه قد أمر أن يقرأ القرآن على حرف وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طلب من ملك الوحي التخفيف عن هذه الأمة فزاده إلى سبعة أحرف(٢).

وإن مما يلفت النظر في روايات هذا الحديث العبارات التي اختتم بها، فإن ابن قتيبة يختم الحديث بقوله (صلى الله عليه وسلم): "فاقرأوا كيف شئتم"(٣)وفي رواية البخاري ومسلم والطبري: "فأقرأوا ما تيسر منه"، وذكر الطبري رواية أخرى عن بعض الصحابة حين رفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلافهم في القراءة: "أسر[أي النبي (صلى الله عليه وسلم)] إلى علي شيئاً، فقال لنا علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا كما عُلّمتم"(٤).

إن اختلاف عبارات هذا الحديث تعني الرخصة في القراءة تيسيراً لهذه الأمة المختلفة اللهجات، وفيهم الصغير والكبير، والأمّي والجاهل والعالم، غير أن بعضهم بالغ في تفسير عبارة (كيف شئتم) فادعوا أن القراءة والتيسير ليس من الوحي وأن المسلمين قد خيروا في القراءة بأي لفظ شاؤوا، على أن يلتزموا بالمعاني التي تلقوها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد رفض علماؤنا القدامى هذا التأويل إذ إن القراءة المسموح بها هي ما تلقاه المسلمون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والقرآن وقراءاته وحي لا يحق لأحد أن يغير أو يبدل منه ما يشاء، وأنّى يكون هذا وقد ورد التحذير من التبديل في كتاب الله كما في قوله تعالى:

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ (يونس، ١٥).

---

(١) ابن حجلا العسقلاني، **فتح الباري**، ٢٩/٩.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، ٢٠٣/٢-٢٠٤، وانظر روايات متعددة للحديث:الطبري، **التفسير** ٣٥/١ وما بعدها, الداني، **الأحرف السبعة**، ص٣١ وما بعدها، أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥)، **المرشد الوجيز**، ص ٧٧ وما بعدها، القرطبي (ت ٩٧١)، **الجامع لأحكام القرآن**، ٤١/١ وما بعدها، الزركشي (ت ٧٩٤)، **البرهان في علوم القرآن**، ٢٢١/١، السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ١٣٩/١ وما بعدها.

(٣) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٣٣.

(٤) الطبري، **تفسير الطبري**، ٢٤/١، وفي رواية أخرى للحديث أن عليا (رضي الله عنه) قال: "ليقرأ كل إنسان كما علّم ,كل حسنٌ جميلٌ". علق محمود محمد شاكر محقق تفسير الطبري على رواية هذا الحديث بقوله: "هذا حديث لا أصل له، رواه رجل كذاب هو عيسى بن س..." الهامش، (٢)، ٢٤/١، وانظر: شاهين، **تاريخ القرآن**، ص ٢٩٠-٢٩١.

ولذلك يرى العلماء أن في اختلاف القراءات - كما في حديث الأحرف السبعة - إباحة للمسلمين في القراءة على أن تكون الإباحة قد وقعت للنبي (صلى الله عليه وسلم) يوسع بها على أمته[١].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الاختلاف في القراءات الذي أقره النبي عليه السلام هو الاختلاف الذي لا تتناقض فيه معاني الآيات التي وقع فيها اختلاف القراءة، ولعل أول من أشار إلى أن الاختلاف نوعان ابن قتيبة الذي ذكر نوعي الاختلاف: اختلاف تغاير، واختلاف تضاد، "فاختلاف التضاد لا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ". وأما اختلاف التغاير فهو الذي ينطبق عليه اختلاف القراءات في الأحرف السبعة ومنه قوله تعالى: "وادكر بعد أُمّة" (يوسف، ٤٥)، أي بعد حين، وقد قرئ: "بعد أَمَهٍ"[٢]، أي بعد نسيان له، وعقب على ذلك بقوله: "والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان، لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له، فأنزل الله على لسان نبيه (صلى الله عليه وسلم)، بالمعنيين جميعاً في غرضين".[٣]

ونقل أبو شامة قول أحد العلماء السابقين "اعلم أن الاختلاف على ضربين: تغاير وتضاد؛ فاختلاف التغاير جائز في القراءات، واختلاف التضاد لا يوجد إلا في الناسخ والمنسوخ"، ولم يشر إلى أن هذا قول ابن قتيبة [٤].

تأويل الحديث عند المحدِّثين والفقهاء

١. أورد المحدِّثون والفقهاء حديث الأحرف السبعة، وقد ورد اختلاف في نص الحديث/الأحاديث، كما نقل العلماء تأويلات للحديث نسب بعضها إلى النبي (صلى الله عليهم وسلم).

أ. فقد قرّر ابن قتيبة في بداية حديثه عن الأحرف السبعة: بعد أن ذكر الحديث ما يلي: "وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج".

وقال آخرون: هي سبع لغات في الكلمة. وقال قوم: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال".وعقب ابن قتيبة على هذه الرواية بقوله: "وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل".[٥]

ب. وأورد الطبري رواية بعض المحدّثين أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف، من سبعة أبواب من الجنة". وقد أوّل الطبري الحديث بأن الأحرف هي" الألسن السبعة، والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والقصص والمثل التي إذا عمل بها العامل، وانتهى إلى حدودها المنتهى، استوجب به الجنّة... ".[٦]

(١) انظر عبد الجليل عبد الرحيم، **لغة القرآن الكريم**، ص ١٣٩.

(٢) لم يذكر ابن مجاهد في كتابه (**السبعة في القراءات**) ولا ابن الجزري في (**النشر في القراءات العشر**) الاختلاف في القراءة لهذه الآية.وقد وردت القراءة منسوبة إلى ابن عباس في كتاب (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع) لابن خالويه، عني بنشره، ج.برجشتراسر، تقديم:آرثر جفري بتاريخ يناير ١٩٣٤ في مصر، ط دار الهجرة، ب.ت، الهامش ١، ص ٦٤.

(٣) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٤٠.

(٤) أبو شامة المقدسي، **المرشد الوجيز**، ص١١١.

(٥)ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٣٣، ٣٤، وانظر: أبو عبيد، **غريب الحديث**، ٣/١٦٠.

(٦) تفسير الطبري، ١/٤٧، ذكر الطبري أن هذا من خبر " أبي بن كعب، وهو من رواية أبي كريب عن ابن فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد".

ج. ثم عاد الطبري – فيما بعد – فأقر بأن قد "اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال: "كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف: زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال؛ فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنا به كل من عند ربنا"[(١)].

ثم ذكر الطبري روايات أخرى مبينا أن "كل هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متقاربة المعاني". ثم عقب على ذالك بقوله:"فكذلك رواية من روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال:"نزل القرآن من سبعة أبواب "و" نزل القرآن على سبعة أحرف" سواءٌ, معناهما مؤتلف، وتأويلهما غير مختلف في هذا الوجه. [(٢)]

وحاول الطبري الجمع بين الروايات للحديث والتوفيق بينها ثم عقب على ذلك بقوله: "وخص الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته، بأن أنزل عليهم كتابه على أوجه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله، ويدركون بها الفوز بالجنة إذا أقاموها، فكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة التي نزل منها القرآن؛ لأن العامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل في باب من أبواب الجنة، وطالب من قبله الفوز بها "[(٣)].

وقد ذكر أبو شامة المقدسي، وابن حجر العسقلاني ما رواه ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن السبعة أحرف سبعة أصناف من الكلام. ولكنهما ردا هذا التأويل للأحرف السبعة مستشهدين بأقوال من ضعّف هذا الحديث من مثل ابن عبد البر[(٤)] الذي نقل عنه أن "هذا حديث عند أهل العلم لم يثبت"، "وقد ردّه قوم من أهل النظر"، وذكر ابن حجر أن الطبري قد ردّه، وإن كان هذا الحديث قد صححه ابن حبان والحاكم[(٥)].

وأما ابن الجزري فأجاب عن حديث ابن مسعود من ثلاثة أوجه:

الأول: أن هذه السبعة غير السبعة الأحرف التي ذكرها النبي (صلى الله عليه وسلم).

الثاني: أن السبعة الأحرف في هذا الحديث هي هذه المذكورة في الأحاديث الأخرى التي هي الأحرف والقراءات، ويكون قوله حلال وحرام إلى آخره تفسيراً للسبعة الأبواب، والله أعلم.

الثالث: أن يكون قوله حلال وحرام إلى آخره لا تعلق له بالسبعة الأحرف ولا بالسبعة الأبواب بل إخبار عن القرآن؛ أي هو كذا وكذا واتفق كونه بصفات سبع كذلك".[(٦)]

د. وذكر بعض علماء الحديث تأويلات بعض العلماء من فقهاء ومحدِّثين – بأن المراد بها (أي الأحرف السبعة)، معاني الأحكام: كالحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال والإنشاء والإخبار.

---

(١) المصدر السابق، ٦٨/١ مقدمة الطبري (القول في البيان عن معنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة".

(٢) المصدر السابق، ٧٠/١، وانظر: الداني، **الأحرف السبعة للقرآن**، ص ٥٧- ٥٩.

(٣) الطبري، **تفسير الطبري**، ٧١/١.

(٤) ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد البر، الحافظ الفقيه، العالم بالقراءات والحديث والأنساب والأخبار، له مؤلفات مشهورة، توفي في سنة ٤٦٣هـ،ع / **المرشد الوجيز لأبي شامة**، بتحقيق طيار ألتي قولاج، الهامش ٢، ص ١٠٠.

(٥) أبو شامة المقدسي، **المرشد**، ص ١٠٧، ابن حجر، **فتح الباري**، ٣٤/٩-٣٥، وانظر: صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ١٠٦-١٠٧.

(٦) ابن الجزري، **النشر**، ٢٥/١.

وقيل: الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمجمل والمبين والمفسر.
وقيل: الأمر والنهي والطلب والدعاء والخبر والاستخبار والزجر.
وقيل: الوعد والوعيد والمطلق والمقيد والتفسير والإعراب والتأويل.

ويظهر أن ابن الجزري – وهو يذهب إلى التفسير اللغوي للحديث – يرد كل هذه الأقوال فقال: "وهذه الأقوال غير صحيحة"، وقد بين سبب ما ذهب إليه، ذلك أن الصحابة المذكورين في روايات الحديث "لم يختلفوا في تفسيره ولا أحكامه، وإنما اختلفوا في قراءة حروفه".(١)

هـ. واستهل الطبري في مقدمته للتفسير في (القول في البيان عن معنى قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة) الكلام بقوله: "اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فروى ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف: زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال.."(٢) ثم روى نصاً للحديث عن راو اسمه أبو قلابة، روى الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) مرسلاً:" قال: بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل".(٣)

ولم يعرف محقق تفسير الطبري – محمود محمد شاكر – بأبي قلابة، واكتفى بالتعليق على روايته بقوله:"هو حديث مرسل، فلا تقوم به حجة"(٤).

و. وذكر ابن الجزري بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من اختلاف قراءتين للآية الواحدة وهذه الاختلافات هي اختلافات لغوية يمكن اعتبارها اختلافات تغاير لا تضاد،شريطة سلامة هذه الأحكام من التضاد والتناقض ومن ذلك:

١. ما يكون لبيان حكم مجمع عليه، كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره لقوله تعالى: "وله أخ أو أخت"(النساء ١٢) فقرأوا، "أو أخت من أمّ"، فإن هذه القراءة – وفيها زيادة – تبين أن المراد بالإخوة هنا هم الأخوة من الأم، وهذا أمر مجمع عليه(٥).
٢. ومنها ما يكون مرجحاً لحكم اختلف فيه، كقراءة آية كفارة اليمين "أو تحرير رقبة" (المائدة، ٨٩)، فقد زاد بعضهم "مؤمنة"، فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان كما ذهب إليه الشافعي وغيره. ولم يشترطه أبو حنيفة".
٣. ومنها ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين، ويرى أكثر العلماء أن القراءتين تغنيان عن نزول آيتين منفصلتين، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" حتى يطهُرن، يطَّهرن"، بالتخفيف والتشديد (البقرة، ٢٢٢)، إذ يرى الفقهاء أنه "ينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها، وتطهر بالاغتسال".

(١) ابن الجزري، **النشر**، ١/٢٤-٢٥.
(٢) الطبري، **في القراءات العشر، مقدمة التفسير**، ٦٨/١.
(٣) **المصدر السابق**، ٦٩/١.
(٤) **المصدر السابق، المحقق**، الهامش ١، ٦٩/١.
(٥) ابن الجزري، **النشر** ٢٨/١.

٤. ومنها ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة "وأرجلكم"، بالخفض والنصب (المائدة: ٦)؛ "فإن الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل، فبينهما النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره".

٥. ومنها ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه، كقراءة قوله تعالى: "فاسعوا إلى ذكر الله"؛ "فامضوا" (الجمعة، ٩): فإن قراءة: " فاسعوا " يقتضي ظاهرها المشي السريع، وليس كذلك، فكانت القراءة الأخرى موضحه لذلك ورافعة لما يتوهم منه.

٦. ومنها ما يكون حجة بترجيح لقول بعض العلماء، كقوله تعالى: "أو لامستم النساء" (المائدة، ٦) فقد قرئ "لمستم"؛ إذ اللمس يطلق على الجس والمس كقوله تعالى: "فلمسوه بأيديهم" (الأنعام، ٧) أي مسوه.

٧. ومنها ما يكون حجة لأهل الحق ودفعاً لأهل الزَّيْع، كقراءة: "وُملكا كبيراً" (الإنسان، ٢٠)، فقرئ بكسر اللام: "وَمِلكاً"، واستدل منها ابن الجزري أنها " من أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الدار الآخِرة" [١].

دلالة الحديث من وجهة نظر لغوية

معنى كلمة (حرف):

ذكر الفيروز آبادي[٢] أن الحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحدّه، ومن الجبل أعلاه المحدد، وواحد حروف التهجي، والناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة، ومسيل الماء....، وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل...

ونزل القرآن على سبعة أحرف: سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر، ولكن المعنى: هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن...".

الدلالة اللغوية لحديث الأحرف السبعة

أكد معظم علمائنا الأوائل التأويل اللغوي للحديث، فهذا هو ذا أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هجري) [٣]، يقول في معنى تأويل قوله (صلى الله عليه وسلم) "سبعة أحرف": يعني سبع لغات من لغات العرب"، ويظهر أن هناك من كان يرى أن معنى الأحرف: الأوجه، أي إنّ لكل كلمة في القرآن سبعة أوجه، وقد كان الطبري يرى هذا التأويل، وربما ينسبه إليه بعض الدارسين، ولكن أبا عبيد أقدم زمنا من زمن الطبري (ت ٣١٠هـ) ذلك أن أبا عبيد ذكره وعقب عليه بقوله: "هذا لم يسمع به قط"، ويرى أبو عبيد أن المعنى "سبع لغات من لغات العرب"، ثم يضيف: "هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها مع هذا كله واحد"[٤].

---

(١) نسب ابن الجزري القراءة لابن كثير وغيره، ولكن ابن مجاهد لم يذكرها في سفرة القيم السبعة في القراءات، انظر: ابن الجزري، **النشر**،١/٢٨ -٢٩، ويورد عبد الصبور شاهين (**تاريخ القرآن**، ص ٥٤-٥٧) موقف الشيعة من حديث الأحرف السبعة، خاصة رأي الشيعة الإمامية، ويمثله السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي في كتابه (البيان في تفسير القرآن) فهم يرفضون الأحاديث الواردة برواية أهل السنة. وقد لخص الخوائي موقفه من الحديث بقوله:"إن القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة". ويرى الخوئي -كغيره من الشيعة- أن لا قيمة للروايات الواردة إذا لم ترد عند "أهل البيت".

(٢) الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مادة: حرف.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام كان إمام عصره في كل فن من العلم أخذ عن عدد من اللغويين الأوائل: الكسائي والفراء والأصمعي وغيرهم، ألف أكثر من عشرين كتابا في القرآن والحديث واللغة، ت٢٢٤ هـ.

(٤) أبو عبيد، **غريب الحديث**، ١٥٩/٣.

وقد رفض أبو عبيد أي تأويل آخر للحديث يخرج عن معنى اللغات، فيقول: (وليس يكون المعنى في السبعة الأحرف إلا على اللغات لا غير بمعنى واحد". وقد ذكر أبو عبيد هذا – فيما يبدو – في معرض رده على من يرى تأويل الحديث في الحلال والحرام وغير ذلك مما ذكرناه آنفاً. فقد عقب على بعض الروايات في اختلاف الصحابة في القراءة وإقراره (صلى الله عليه وسلم)، كل صحابي على قراءته بقوله: "هكذا أنزلت"، فإن هذا "يبين لك أن الاختلاف إنما هو في اللفظ، والمعنى واحد، ولو كان الاختلاف في الحلال والحرام لما جاز أن يقال في شيء هو حرام: هكذا نزل، ثم يقول آخر في ذلك بعينه: إنه حلال، فيقول: هكذا نزل... الخ" [(١)].

وقد ذهب الداني في حديثه عن (معنى الأحرف السبعة): "فإنه يتوجه إلى وجهين:

أحدهما: أن يكون يعني بذكر أن القرآن أنزل على سبعة أحرف: سبعة أوجه من اللغات..

والوجه الثاني: أن يكون (صلى الله عليه وسلم) سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة...؛ إذ كانت الأحرف المختلفة فيها منها..." [(٢)]

ويكاد يجمع العلماء القدامى وأغلب المحدثين على التأويل اللغوي للحديث. ويمكننا حصر آرائهم في النقاط الآتية:

١. اللغات/ اللهجات خاصة لهجة قريش وغيرها.
٢. الاختلافات الصوتية، كالإمالة والتفخيم والترقيق – وهذا يدخل في اللهجات أيضاً.
٣. اختلاف الحركات الإعرابية.
٤. اختلاف الصيغ الصرفية، كالخطاب والغيبة، والإفراد والتثنية والجمع وغيرها.
٥. تنوع الدلالة كاختلاف الألفاظ مع بقاء الصورة نفسها في الكتابة وقد يقع منه في اختلاف اللغات / اللهجات أو في اختلاف نطق الألفاظ ودلالاتها.
٦. رسم الكلمات.
٧. الزيادة والنقصان.

اختلاف اللغات/ اللهجات:

أ. سبق أن أشرنا إلى أن أبا عبيد ذكر أن قوله (صلى الله عليه وسلم) سبعة أحرف يعني سبع لغات العرب، وأنها متفرقة في القرآن؛ "فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وكذلك سائر اللغات.وقد استشهد أبو عبيد بقول ابن مسعود،: "إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما علمتم إنما هو كقول أحدكم: هلمّ وتعال وأقبل"، وأضاف إلى ذلك تفسير ابن سيرين لقراءة ابن مسعود لقوله تعالى: "إن كانت إلا صيحة واحدة"، (يس ٢٦، ٥٣) فقد قرأها ابن مسعود:"إن كانت إلا زقية واحدة"[(٣)]، وعقب على هذه القراءة بقوله: "والمعنى فيهما واحد، وعلى هذا سائر اللغات"[(٤)].

---

(١)**المصدر السابق**، ٣/١٦١.

(٢) **الأحرف السبعة للقرآن**، ص ٢٧-٣٠.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، ص ١٢٥.

(٤) أبو عبيد، **غريب الحديث**، ٣/١٥٩- ١٦٠.

ب. وأحسن الداني في تعبيره عما "ينبغي اعتقاده في الأحرف السبعة" من أن "هذه الأحرف السبعة المختلف معانيها تارة، وألفاظها تارة، مع اتفاق المعنى ليس فيها تضاد،ولا تناف للمعنى ولا إحالة ولا فساد...." [١]

لغة قريش = لغة القرآن الكريم

نزل هذا القرآن الكريم "بلسان عربي مبين"، (الشعراء، ١٩٥)، وارتبط نزوله بلغة القوم الذين أرسل إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مصداقاً لقوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" (إبراهيم، ٤). وفهم الصحابة ومن جاء بعدهم أن هؤلاء القوم هم قريش[٢]. وكذلك ما أورده السيوطي عن بعض أهل الحديث من قوله (صلى الله عليه وسلم): " أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش"[٣].

وقد صدّق هذا فعليا العمل الكبير الذي قام به الصحابة في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ألا وهو توحيد القراءات القرآنية في "المصحف الإمام".فكان النفر من الصحابة من كتبة الوحي إذا أشكل عليهم كتابة لفظ يلوذون بالخليفة الذي كان يحسم أمره وأمرهم بقوله: "فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم"[٤]. والأمر المشكل لدى اللغويين هو ما ذهبوا إليه في تأويل حديث الأحرف السبعة فهي في عرف أكثرهم "لغات /لهجات سبع" سواء أكان ذلك في حقيقة العدد أم كان على التكثير. ويرى الباحث أن الإشكال يزول إذا ما تتبعنا أقوال اللغويين القدامى حول نشوء "لغة/ لهجة" قريش وتطورها، ويلخص ذلك ابن فارس فيما نقله عن شيوخه: "أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة" وأنها كانت "مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب..." [٥]

وهذا الذي اجتمع للغة القرشية لم يكن بعد نزول القرآن، فقد أقر كثيرون من الباحثين أن ذلك كان في مرحلة سابقة أدت إلى عملية توحيد لغوية ظهرت مزاياها في لغة الشعر العربي قبل الإسلام.

وقد ذهب بعض علمائنا من قدامى ومحدثين إلى أن (سبعة) في الحديث لا يعني حقيقة العدد لأن لغات العرب أوسع وأكثر[٦].

ولعل في هذا كله حكمة في عملية الوحدة التي يدعو إليها هذا الدين في أن يجمع الأمة على كتاب ربها بحيث لا يختلف اثنان في فهم آيه وألفاظه.

إضافة إلى ذلك فإن العصبية تمحي بين أبناء الأمة العربية المدعوة إلى الدخول في هذا الدين وأن تتلقف كتاب ربها وهي مسؤولة عنه – دنيا وآخرة [٧] – مصـداقاً لقولـه تعالـى:﴿ **وإنه لذكر لـك ولقومـك وسـوف تـسئلون**﴾ (الزخرف، ٤٤).

---

(١) الداني، **الأحرف السبعة للقرآن**، ص٦٠.

(٢) يقول تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" (الشعراء، ٢١٤).

(٣) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة**،٢٠٩/١.

(٤) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (طبعة دار المعرفة، بيروت)، ٧٩/١.

(٥) ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة**، باب القول في أفصح العرب، ص٥٢، وانظر: السيوطي، **المزهر**، ٢١٠/١.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر: أحمد البيلي، **الاختلاف بين القراءات**، ص ٤٣ وما بعدها.

(٧) انظر: أبو شامة، **الوجيز**، ص ١٣٠ وما بعدها.

غير أن هذا الذي نقول لم يمنع أن ترد روايات تدل على أنه ليس كل القرشيين كانوا يعرفون كل ألفاظ القرآن وتعابيره، كما لم يمنع في اختلاف القراءات على الأحرف السبعة اختلاف قرشيَّين. ولكن الروايات التي ذكرها علماؤنا القدامى دلت على أن بعض القرشيين حين سمعوا بعض ألفاظ غير قرشية ثم عرفوا دلالاتها أزالت الإشكال في فهم آيات قرآنية وردت فيها هذه الألفاظ. ومن ذلك ما ذكره القدامى من الأوجه السبعة للقرآن وجه "تغيير الصورة دون المعنى"، نحو: العهن/الصوف (القارعة،٥)، وصيحة/وزقية (يس،٢٩،٥٣)، وفومها/وثومها (البقرة،٦١)[١].

نقل القرطبي[٢] أقوال بعض العلماء بنسبة لغة القرآن الكريم إلى لغة قريش.. ولكن آخرين بينوا أن القرآن "منزل بجميع لسان العرب" مصداقا لقوله تعالى: "إنا جعلناه قرآنا عربياً" (الزخرف ٣) ولم يقل قرشياً لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها، وقريش لا تهمز[٣]. وأضاف القرطبي فيما نقله عن ابن عطية قوله: "معنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم): "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أي فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظ، ألا ترى أن "فطر" معناه عند غير قريش ابتدأ خلق الشيء وعمله، فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس، حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ قال ابن عباس: ففهمت حينئذ موضع قوله تعالى:" فاطر السموات والأرض"، (فاطر، آية ١). وقال أيضاً: ما كنت أدري معنى قوله تعالى:" ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق"(الأعراف ٨٩)، حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك؛ أي أحاكمك. وكذلك كان عمر بن الخطاب لا يفهم معنى قوله تعالى: "أو يأخذهم على تخوف"(النحل ٤٧)حتى وقف على فتى فقال: "إن أبي يتخوفني حقي " فقال عمر:" الله أكبر، أو يأخذهم على تخوف؛أي على تنقّص لهم."[٤]

وخصص السيوطي النوع السابع والثلاثين في إتقانه لما وقع في القرآن الكريم "بغير لغة الحجاز"، وذكر من اللغات ما يزيد عن سبع من مثل: اللغات اليمانية، وطيء، وأهل عُمان، وهُذيل، وأزد شنودة، وحمير، والنّخع، وبني عبس... وغيرها[٥].

الاختلافات الصوتية

ذهب كثيرون من المتقدمين إلى أن من أوجه الاختلافات في حديث الأحرف السبعة "اختلاف اللغات"، ويعنون بذلك الفوارق اللهجية في إخراج أصوات الحروف. وقد حدد اللغويون مجالات الاختلاف اللهجية/الصوتية مقارنة مع اللهجة القرشية، ونسبوا كثيراً منها إلى أصولها القبلية. وذكر ابن قتيبة أن من تيسير الله على عباده أن أمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) "بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم"، ومثّل ذلك بعدد محدود من الأمثلة:

(١) أبو شامة، **الوجيز**، ص ١٢٣.

(٢) الطبري، **التفسير** ٤٣/١ وما بعدها.

(٣) نقل القرطبي هذا عن ابن عبد البر ٤٤/١.

(٤) القرطبي، **جامع البيان**: ٤٤/١. وانظر: **تفسير ابن عطية**، ٤٦/١ – ٤٧، وأبو شامة، **الوجيز**، ص ١٢٣، وابن الجزري، **النشر**،٢٩/١– ٣٠، السيوطي، **الإتقان** ٦/٢، وانظر: أحمد علم الدين الجندي، **اللهجات العربية في التراث**، ١٠٧/١.

(٥) انظر: **الإتقان**، ٥٨/١– ٦٥.

"فالهذلي يقرأ": "عتى حين"، يريد "حتى حين"، (يوسف،٣٥)، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها. والأسدي يقرأ: "تِعلمون: وتِعلم" (بكسر التاء) و"تِسودّ وجوههم". والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز(١).

والغريب أن ابن قتيبة لم يجعل هذا الفوارق اللهجية/ الصوتية من أوجه الأحرف السبعة، بينما نجد أبا الفضل الرازي جعل الوجه السابع: اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإدغام والإظهار وغير ذلك(٢).

وإذا كانت اختلافات القراءة مما مر معنا في القسم الأول – وهو اختلاف اللغات /اللهجات – قد اشتُرط فيه عدم اختلاف المعنى، فإن هذا القسم ينضوي على المفهوم نفسه، إذ لا يترتب على اختلاف الأصوات اختلاف معاني الألفاظ أو الآيات القرآنية الكريمة.

يضاف إلى ذلك أنّ الدرس اللغوي للاختلاف الصوتي في إخراج الحروف العربية حمل لنا صفات لهجية متنوعة، ومن ذلك الإشمام وهو أنواع:

أ. إشمام الضم مع الكسر، كقراءة قوله تعالى: "وإذا قيل لهم" (البقرة، ١١)، "وغيض الماء" (هود، ٤٤).

ب. إشمام الكسر مع الضم، كما في قوله تعالى: "هذه بضاعتنا ردت إلينا" (يوسف،٦٥).

ت. إشمام الضم مع الإدغام كقوله تعالى: " مالك لا تأمنّا" (يوسف، ١١)، وقد ذكر ابن قتيبة أن هذا النوع "ما لا يطُوعُ به كل لسان" (٣).

اختلاف الحركات الإعرابية

لقد جعل ابن قتيبة هذا النوع أول وجه من أنواع الخلاف في القراءات في تأويل حديث الأحرف السبعة وأولها الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها"، ومن أمثلته قوله تعالى: "هؤلاء بناتي هنّ أطهرُ لكم" (هود، ٧٨) وقرئ: "أطهر" بالنصب.(٤)

اختلاف الصيغ الصرفية وصيغ الخطاب:

وقد ذكر عن هذا الاختلاف ابن قتيبة في أوجه اختلاف القراءات على الأحرف السبعة في الوجه الثاني: "أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب"، وعبر ابن قتيبة عن هذا الوجه بثلاثة أمور من الاختلاف: الإعراب، وحركات البناء، وتغيير المعنى. أما الاختلاف المقصود هنا فهو اختلاف الخطاب والصيغة الصرفية بغض النظر عن الاختلاف في الإعراب الذي ذكر في النقطة السابقة، مع بقاء الاختلاف في حركات البناء مع تغيير المعنى.

ومثل ابن قتيبة على ذلك بقوله تعالى: "ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا"، وقُرئ: ربُّنا...باعَدَ"(سبأ، ١٩) واختلاف الخطاب والصيغة يظهر في كلمتين في القراءتين: (٥)

١. ربَّنا في القراءة الأولى – القراءة السبعية ومنها رواية حفص عن عاصم – وهي منادى وباعِدْ: فعل طلبي.

(١) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ٣٩.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، ٣٤/٩ وقد ذهب الزرقاني، **مناهل العرفان**، ١٣٦/١- ١٣٩ إلى تفضيل رأي الرازي.

(٣) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٣٩، وفي كتاب الجرجاني، **التعريفات**، ص٤٤، أن الإشمام: "تهيئة الشفتين للتلفظ بالضمّ، ولكن لا يتلفظ به تنبيها على ضم ما قبلها، أو على ضمه الحرف الموقوف عليه، ولا يشعر به الأعمى".

(٤) يذهب بعض البصريين إلى أن قراءة النصب لحن، فقد ضعفه سيبويه، ورأى أبو عمرو بن العلاء أن "من قرأهن أطهرَ بالنصب فقد تربع في لحنه" وذهب الزمخشري إلى أن انتصابه على أن يجعل حالاً قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل"، وأجاز الكسائي فيه النصب، انظر: سيبويه،**الكتاب**، ٣٩٥/٢، والزمخشري، **الكشاف**، ٤١٤/٢.

(٥) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ٣٧.

٢. ربُّنا: اسم مرفوع مبتدأ، وباعَدَ: فعل ماضٍ والجملة الفعلية خبر المبتدأ. وجعل ابن خالويه القراءة الثانية من الشواذ.[١]

ومن أمثلة ابن قتيبة قوله تعالى: "إذ تلقَّوْنه بألسنتكم"[٢] (النور، ١٥) وقرئ "تَلِقونه" وهي قراءة شاذة منسوبة إلى عائشة (رضي الله عنها)، وهناك قراءات أخرى أحصى ابن خالويه عشر قراءات أكثرها في الشواذ[٣].

ويكثر في القراءات القرآنية الاختلاف في صيغة الخطاب (للخطاب والغيبة)، خاصة في الأفعال، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ وما الله بغافل عما تعملون﴾، (البقرة،٧٤)، فقد قرئ: (يعملون). [٤]

ومن الاختلاف في القراءات الاختلاف في الإفراد والتثنية والجمع، ومنه قوله تعالى: "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم"، فقرئ في الموضعين: "ذرياتهم" بالجمع/ بالجماعة.[٥]

تنوع /اختلاف الألفاظ وتنوع الدلالة مع وحدة الرسم

أشرنا في النقطة السابقة إلى أن ابن قتيبة ذكر الوجه الثاني وجعله في اختلاف إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، وكان مثاله الثالث لهذا الوجه قوله تعالى: "وادّكر بعد أُمَّةٍ" (يوسف، ٤٥)، فقد قرئ: "أَمَهٍ" وأما الوجه الذي يليه فقد جعله ابن قتيبة للاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها"، نحو قوله تعالى: "وانظر إلى العظام كيف نُنشزها"[٦]، (البقرة، ٢٥٩)، وقرئ:"نُنْشرها"،وقوله تعالى: "حتى إذا فزِّع عن قلوبهم" (سبأ، ٢٣)، وقرئ: "فُرِّغ".[٧]

ويرى الباحث أن المثال الثالث في الوجه الثاني يصلح لهذا الوجه الثالث من أوجه الخلاف السبعة التي ذكرها ابن قتيبة، ذلك أن رسم الكلمة واحد في الحالتين ولكن لفظهما ومعناهما مختلف، فإن "أمة": تعني (مدة طويلة)، وأما "أمه" فتعني (نسيان)، يقال: أمه يأمه إذا نسي.[٨]

والحق أن هذا الوجه غني بالأمثلة إذ تتجلى فيه أمور منها:

١. وحدة الرسم القرآني إذ المعلوم أن رسم المصحف العثماني كان خالياً من النقط والشكل، وأن الألفاظ القرآنية في مثل هذه الحالة يمكن أن تقرأ على أكثر من وجه.
٢. تنوع نطق الألفاظ القرآنية المتحدة الرسم المختلفة النطق، ولا يخطرن ببال أحد أن هذا الخلاف مما تعمده أحد من الصحابة ومن جاء بعدهم حتى آل الأمر إلى علماء القراءات، بل إنهم جميعاً متبعون ما تلقفوه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم ممن شهر عنهم الإتباع والحفظ والضبط.

---

(١) ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن**، ص١٢٢، وذكره ابن جنى في **المحتسب**، ١٨٩/٢.

(٢) تلقَّوْنه: يأخذه بعضكم من بعض، وتلقونه من ألق، والألق هو الكذب (انظر: الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مادة: ألق).

(٣) مختصرفي شواذ القرآن، ص ١٠٠، وانظر: الزمخشري، **الكشاف**، ٢١٩/٣.

(٤) الزمخشري، **الكشاف**، ١٥٦/١.

(٢) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ص ٦١٣.

(٦) ننشزها: نحركها، ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب، أما ننشرها أي نحييها بعد الموت. لمزيد من التفصيل حول هذا الوجه من الاختلافات، انظر: محمد المجالي، من القراءات القرآنية إحدى عشرة كلمة اتفق رسمها واختلفت حروفها ومعانيها، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الكويت العدد ٥٣ السنة ١٨،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ص ٧٥ – ١٣٠.

(٧) فزع: أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن. وأما فُرِّغ أي نفي الوجل عنها وأفنى، فأصله فرِّغ الوجل عنها أي انتفى عنها.انظر: **الكشاف**، ٥٨٠/٣.

(٨) الزمخشري، **الكشاف**، ٢، ٤٧٥– ٤٧٦.

٣. شُغل المفسرون وعلماء القراءات ثم أهل اللغة ببيان دلالة الألفاظ القرآنية المتحدة الحروف والمتنوعة/ أو المختلفة اللفظ، ومن ثم اختلفت الدلالات وتنوعت فغنيت بذلك الدراسات اللغوية للقرآن الكريم.

٤. ويرى الباحث أن هذا الوجه يمثل أصدق تمثيل حديث الأحرف السبعة، ويفسر ما أثر في الروايات من اختلاف الصحابة أولاً في التلقي والحفظ، وما آل إليه الأمر بعدُ من اختلاف القرّاء.

اختلاف الألفاظ القرآنية باختلاف رسمها ودلالاتها

أ. وقد عبر عن هذا الوجه ابن قتيبة في الوجه الرابع وهو أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها. وهذا الوجه لا يتحد فيه رسم الكلمات وإن اتحد المعنى [١].

ب. وأما النوع الثاني اختلاف الرسم والدلالة فهو ما عبر عنه ابن قتيبة في الوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها.

ومثاله الوحيد هو قوله تعالى: "وطلح منضود، وقرئ: "وطلع" (الواقعة،٢٩)، وروى ابن خالويه أن علي بن أبي طالب قرأها "على المنبر فقيل له: أفلا نغيره في المصحف، قال: ما ينبغي للقرآن أن يهاج؛ أي لا يغير"، وأضاف ابن خالويه أنه "قيل في التفسير": "وطلح منضود"، قال: الموز.." [٢]

الاختلاف بالزيادة والنقصان: وهو نوعان:

١. زيادة حرف أو نقصانه مما لا يغير من معنى الآية شيئاً.

٢. زيادة كلمة مما يمكن أن يكون بعض الصحابة قد أضافه تبياناً وتفسيراً، ولو حذف لما اختل المعنى، ووجوده يزيد الآية إيضاحاً:

١. زيادة الحروف ونقصانها، وقد ورد ذلك في عدد من الآيات من مثل قوله تعالى: (وما عملت أيديهم، وقرئ "وما عملته أيديهم" (يس، ٣٥)، وهما قراءتان صحيحتان ذكرهما ابن مجاهد في سفره القيم السبعة في القراءات،[٣] "فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم و"وما عملته" بالهاء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة الكسائي "وما عملت أيديهم" بغير(هاء).

ويرى النحاة أن هذه الهاء هي العائد على الاسم الموصول (ما)، والقاعدة في ذلك جواز ذكر العائد أو حذفه، وقد جاءت القراءتان حجة لهذه القاعدة. [٤]

٢. زيادة كلمة في الآية، كما في قوله تعالى:﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾ (سورة ص،٢٣)، فقد قرأ بعض السلف بزيادة "أنثى".[٥]

---

(١) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٣٧، يمكن ردّ هذا الوجه إلى اختلاف اللهجات العربية عن اللهجة القرشية، فإن من الأمثلة قوله تعالى: "إن كانت إلا صيحة واحدة" (يس، ٢٩، ٢٣). فقد قرئ:"زقية"، وعزا الزمخشري إلى ابن مسعود الهذلي أنه قرأ: "الأزقية"، وهو من زقا الطائر يزقو ويزقى، إذا صاح (انظر: الزمخشري،**الكشاف** ١٣/٤)، ومنه قوله تعالى: "كالعهن المنفوش"، وقرئ: "كالصوف" (القارعة، ٥)، وهي قراءة نسبها الزمخشري (**الكشاف**، ٧٩٠/٤)، إلى ابن مسعود، (والعهن: هو الصوف المصبغ ألواناً).

(٢) ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن**، ص ١٥١.

(٣) ص ٥٤٠.

(٤) انظر ابن هشام الأنصاري، **قطر الندى وبل الصدى**، ص ١٠٨.

(٥) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٣٨. وردت القراءة في مختصر شواذ القرآن لابن خالويه، ص١٣٠، منسوبة لابن مسعود "ولي نعجة أنثى".انظر هامش (٣) من كتاب ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، فقد أضاف المحقق إلى قراءة ابن مسعود ما أورده الطبري تعقيباً على "نعجة أنثى": "وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة كقولهم: هذا رجل ذكر ولا يكادون يفعلون ذلك إلا في المؤنث والمذكر..".وانظر: **تفسير الطبري** للآية ٢٣ من سورة (ص).

تحليل مواقف القدماء

ذهب القدماء في تأويل حديث/ أحاديث "الأحرف السبعة للقرآن" مذاهب شتى، وقد حاول بعضهم جمع أقوال المتقدمين على اختلافها وتنوعها، ويرى القرطبي أن العلماء اختلفوا في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً، ولكنه لم يذكر منها سوى خمسة فقط[١]، وأما السيوطي فقد ذكر أن الاختلاف في معنى الحديث بلغ "نحو أربعين قولاً"، ذكر منها خمسة وثلاثين[٢].

ويمكن تلخيص أقوالهم بما يلي:

١. أن معنى الحرف "الوجه" وأن الأحرف السبعة تعني وجوهاً سبعة، على أنهم اختلفوا في تحديدها.

أ. أنها – أي الأحرف السبعة – سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وتعال وهلم.

ب. أنها سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها – يمنها ونزارها.

ج. أن هذه اللغات السبع إنما تكون في مضر، واحتجوا بقول عثمان: "نزل القرآن بلغة مضر"، ويذهب أكثر العلماء على أن "السبعة أحرف ليست في جميع الكلمات وإنما هي في بعض القرآن لا جميعه". [٣]

د. أنها سبعة أوجه متنوعة في القرآن بدأ هذا ابن قتيبة الذي قرر أنه قد تدبر "وجوه الخلاف في القراءات: فوجدها سبعة أوجه [٤]. ثم تبعه آخرون كأبي الفضل الرازي، والقاضي ابن الطيب، وابن الجزري.

ه. أن المراد بالأحرف السبعة معاني كتاب الله تعالى، وهي: أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وأمثال، وذكر القرطبي ما ذهب إليه ابن عطية في رفض هذا التأويل في قوله: "وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفاً" ولأن الإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال: ولا في تغيير شيء من المعاني[٥].

٢. واختلف القدماء حول حقيقة العدد هل هو سبعة بالفعل، أو أن الحديث يعني بالعدد سبعة التكثير، والذي أثار هذه الخلاف أن أوجه الاختلاف في القراءات التي تعزى إلى الأحرف السبعة هي أكثر من سبعة أوجه، فقد ذهب ابن قتيبة إلى أن السبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن[٦]، ويرى بعض العلماء أن " ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التسهيل والتيسير، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعين في العشرات، والسبعمائة في المئين، ولا يراد العدد المعين".[٧]

٣. ونفى جل علمائنا القدامى أن تكون السبعة الأحرف هي القراءات السبع المشهورة ذلك أن أول من جمع قراءات القراء السبعة الإمام أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) على رأس الثلاثمائة للهجرة في بغداد، وهم القراء المشهورون بالقراءة في الأمصار الإسلامية الخمسة المعروفة: من قراءات الحرَمَين: مكة والمدينة, والعراقَين: الكوفة والبصرة , والشام. ويذهب بعضهم إلى أن ابن مجاهد أراد "جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة هذه الأمصار ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مجلد ١ ص ٤٢- ٤٦.

(٢) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١ ص ١٣٩ – ١٥٠.

(٣) هذا قول القاضي عياض (ت،٥٤٤ هـ)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، ١٨٧/٣.

(٤) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٢٦.

(٥) انظر: **تفسير القرطبي**، ٤٢/١-٤٦.

(٦) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، ص ٣٤.

(٧) ابن حجر، **فتح الباري**، ٢٧/٩ وانظر:القاضي عياض، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، مادة: س ب ع، ٢٠٥/١.

العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم" (١)

٤. اختلاف روايات الحديث / الأحاديث وتأويلاتها في الأحرف السبعة:

ذكرنا سابقاً اختلاف روايات أحاديث الأحرف السبعة، والحق أن هذا الاختلاف / أو التنوع أدى إلى اختلاف/أو تنوع تأويلات الدارسين للحديث وقد لخص القاضي عياض مذاهب العلماء في ذلك في النقاط الآتية:

أ. فمنهم من جعلها في المعاني كالوعد والوعيد، والمحكم والمتشابه والحلال والحرام، والقصص والأمثال والأحكام والأمر والنهي.

ب. ومنهم من جعلها في صورة التلاوة ومنحنى النطق بكلماتها؛ من إدغام وإظهار وتفخيم، وترقيق وإمالة ومد، لأن العرب كانت مختلفة اللغات والكلام في هذه الوجوه، فيسر عليهم القراءة ليقرأ كل إنسان بما وافق لغته، وسهل على لسانه.

ج. ومنهم من جعلها في الألفاظ والحروف، ويحتج هؤلاء باستزادة النبي صلى الله عليه وسلم لجبزيل وأنه لم يزل يستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بجميعها(٢).

وقد حاول بعض المتقدمين تلخيص ما قدمه العلماء قبله دون التقيد بالعدد سبعة، فها هو ذا ابن الجزري يقول: "وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى واحد، ومثل له بأمثلة منها: الصراط – السراط.

والثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، نحو (مالك وملك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه.

والثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وظنوا أنهم قد كُذِبوا"﴾ (يوسف، ١١٠).

ذكر ابن مجاهد أن قراءة "كُذِبوا" لعاصم وحمزة والكسائي، وقراءة "كُذِّبوا"، بتشديد الذال وكسرها لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر(٣)، وقرر ابن الجزري أن وجه تشديد "كذبوا" بمعنى تيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، فالظن فيها يقين والضمائر الثلاثة للرسل، وأما القراءة الثانية بالتخفيف فالظن فيها شك وذلك توهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم. (٤)

تحليل مواقف المحدثين من أحاديث الأحرف السبعة

أولى المحدثون لغة القرآن الكريم عناية كبيرة لا تقل عما عهدناه عن المتقدمين؛ ولحديث الأحرف السبعة مكانة الصدارة في دراسات كثير منهم، فقد كرر معظمهم ما جاء في كتب القدماء من ذكر للحديث برواياته المتعددة، ومن تأويل أشهر المتقدمين كابن قتيبة، والرازي وابن الجزري. ويكاد يجمع المحدثون على قبول تفسير "الأحرف" باللغات، وإن كانت بعض تفسيراتهم متفاوتة بقبول ما ذكره المتقدمون تارة، أو نقده، أو ترجيح رأي على آخر.(٥)

(١) انظر تعليق يحيى إسماعيل محقق كتاب **إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض**، ج٣، ص ١٩٠، هامش (٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، **إكمال الفوائد**، ١٨٧/٣.

(٣) **السبعة في القراءات**، ص ٣٥١ – ٣٥٢.

(٤) ابن الجزري، **النشر**، ٤٩/١-٥٥.

(٥) انظر: أحمد علم الدين الجندي، **اللهجات**، ١٠٣/١ وما بعدها.

ويقر كثيرون من الدارسين المحدثين أن اختلاف القراءات التي نسبت إلى اختلاف "الأحرف" اقتضته الضرورة الناتجة عن اختلاف اللهجات بين القبائل العربية، رغم أن القرآن الكريم قد نزل بلغة/ لهجة عربية واحدة هي لغة قبيلة الرسول (صلى الله عليه وسلم): أي القرشية. وذهب بعض المحدثين إلى أن بعض العرب لم يكن يتلو القرآن "كما كان يتلوه النبي (صلى الله عليه وسلم) وعشيرته من قريش فقرأته كما كانت تتكلم؛ فأمالت حيث لم تكن تميل قريش، ومدت حيث لم تكن تمد، وقصرت حيث لم تكن تقصر، وسكنت حيث لم تكن تسكن، وأدغمت أو أخفت، أو نقلت حيث لم تكن تدغم ولا تخفي ولا تنقل".(١)

ويلاحظ أن كثيرين من الدارسين المحدثين لم يضف جديداً إلى تأويلات المتقدمين، غير أننا نلحظ أن بعضاً منهم قد نقد بعض الآراء، ورجح بعضها على بعض، ثم اختار لنفسه رأيا في تأويل الأحرف السبعة، ومن هؤلاء الزرقاني الذي نظر في آراء المتقدمين ونقد الكثير منها ثم فضل عليها رأي أبي الفضل الرازي (ت ٢٩٠هـ)، وعلى الرغم من اعتراف الكثيرين بريادة ابن قتيبة الذي كان أول من قدم أوجهاً سبعةً لتفسير حديث الأحرف السبعة إلا أن الزرقاني رجح عليها الأوجه السبعة التي قدمها الرازي. وحاول جعل هذه السبعة التي اختارها مقدمة على ما سواها رغم أن ابن حجر العسقلاني قد تنبه إلى أن الرازي "أخذ كلام ابن قتيبة ونقحه"(٢).

وأقر طه حسين أن الأحرف هي "اللغات التي تختلف فيما بينها لفظاً ومادة، غير أنه أثار حفيظة عدد من الدارسين المحدثين في ادعائه أن القراءات السبع ليست من الوحي "وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً، ولا مغتمزاً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها"، ومع ذلك فقد نفى أن تكون القراءات السبع هي المقصودة بالأحرف السبعة – وهذا ما نبه عليه علماؤنا القدامى- ولكنه رفض فكرة أن تكون الأحرف السبعة لغات متفرقة في القرآن الكريم، وهذا ما ذهب إليه كثيرٌ من المتقدمين، وتبعهم في ذلك عدد من الدارسين المحدثين(٣).

ولم يجد بعض ما ذهب إليه طه حسين قبولاً لدى بعض المحدثين، ويرى أحدهم أن طه حسين "بنى رأيه هذا على أساس فاسد لا أساس له من الصحة"، وأنه خطا "خطى أساتذته من المستشرقين الذين لا يألون جهداً في الكيد للإسلام وأهله".(٤)

ويرى فضل عباس أن ما ذكره طه حسين "لم يكن سوى ترداد وتكرار لما أثاره المستشرق الألماني ثيودور نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن)، وجعل ما قاله من الشبهات التي أثيرت حول القراءات القرآنية خاصة ما ذكر من "أن اختلاف القراءات نشأ عن تعدد اللهجات واللغات للقبائل العربية، فكانت كل قبيلة وكل واحد يقرأ بما يسهل عليه، ولم يكن الاختلاف ناشئاً عن تلق من الرسول (صلى الله عليه وسلم)". وأما الرد على هذه الشبهة فيتلخص بمايلي:

١. أن كثرة القراءات وتعدد اللهجات لم يكن لأن كل واحد من المسلمين كان يملك الحرية ليقرأ القرآن حسب لهجته ولسانه.

---

(١) طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، ص ٩٥.

(٢) الزرقاني، **مناهل العرفان**، ١/١٥٠ وما بعدها، ابن حجر، **فتح الباري**، ٣٤/٩، وانظر: صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص ١١٦.

(٣) طه حسين، **في الأدب الجاهلي**، ص ٩٥.

(٤) عبد الجليل، **لغة القرآن الكريم**، ص ٩٨، وما بعدها.

٢. أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث من القراء إلى الأمصار الإسلامية لتعليم الناس القراءة.

٣. أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن ليرضى أن يغير أحد من الصحابة بعض الكلمات في غير القرآن، فكيف يرضى أن يكون ذلك في القرآن؟

٤. أن نزول القرآن الكريم بلهجة قريش، وهي "أكثر اللهجات شيوعاً، ولم تكن غريبة على أي قبيلة من قبائل العرب"(١).

وعرض باحث آخر للروايات التي نقلها القدماء حول اختلاف القراءات ورأى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) "كان يجيز قراءات الناس ولا ينكرها عليهم متى كان موضع الخلاف فيها لهجات ألسنتهم وما تعودوه من طريقة النطق"، غير أنه علق على هذه الروايات بأنها "في مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام، فليست تبين بجلاء نص الآية، أو الكلمة التي اختلف في قراءتها ولا نوع الخلاف في تلك القراءة، أكان خلافاً صوتياً يمكن أن يعزى إلى تباين اللهجات والألسنة، أم كان في أمر آخر لا نعلم علم اليقين؟"(٢)

واجتهد بعض المحدثين في تقديم أوجه سبعة تأويلاً لحديث الأحرف السبعة على غرار ما قدمه السابقون. ويلاحظ أن معظم ما قدموه لا يخرج عن كونه محاولة توفيقية لما قدمه المتقدمون. ولعل من أبرز ما وضعه المحدثون الأوجه السبعة التي ذكرها صبحي الصالح الذي يرى أنها أوجه لا تعارض النقل والعقل، وهي "تستقصي كل اختلاف في أداء القرآن"، وهو يعترف أن ما قدمه قد وقع له "اتفاقاً"، بعد أن جمع آراء المتقدمين، وهذه الأوجه هي:

١. الاختلاف في وجوه الإعراب، سواء أتغير المعنى أم لم يتغيرـ نحو قوله تعالى: ﴿فتلقى آدمُ من ربه كلماتٍ﴾فقد قرئ: "آدمَ... كلماتٌ"(البقرة، ٣٧).

٢. الاختلاف في الحروف إما بتغير المعنى دون الصورة، وهو ما يعبر عنه أحياناً بالاختلاف في النقط مثل: "يعلمون، وتعلمون"، وإما بتغير الصورة دون المعنى مثل: "الصراط – السراط".

٣. اختلاف الأسماء في إفرادها وتثنيتها وجمعها وتذكيرها وتأنيثها، نحو قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾" (المؤمنون، ٨)، وقرئ: "لأمانتهم".

٤. الاختلاف بإبدال كلمة بكلمة يغلب أن تكون إحداهما مرادفة للأخرى، وإنما تتفاوتان بجريان اللسان بإحداهما لدى قبيلة دون الأخرى، مثال: العهن – الصوف، وطلح، وطلع.

٥. الاختلاف بالتقديم والتأخير فيما يعرف وجه تقديمه أو تأخيره في لسان العرب العام، أو في نسق التعبير الخاص، كقوله تعالى: "فيَقتلون ويُقتلون"، فقد قرئ: ﴿ فيُقتلون ويَقتلون﴾ (التوبة، ١١١).

٦. الاختلاف بشيء يسير من الزيادة والنقصان جرياً على عادة العرب في حذف أدوات الجر والعطف تارة وإثباتها تارة: ولذلك لم تحفظ هذه الضروب من الزيادة والنقص إلا في أحرف قليلة، نحو قوله تعالى: "تجري تحتها" وقرئ: ﴿تجري من تحتها﴾ (التوبة، ١٠٠).

---

(١) **شبهات حول القراءات القرآنية**، ص ١٤٠- ١٤١، وانظر: عبد العال سالم مكرم، **أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية**، ص٢٦- ٢٧.

(٢) إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، ص ٥٥ وما بعدها.

٧. اختلاف اللهجات في الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، وكسر حروف المضارعة، وقلب بعض الحروف و إشباع ميم الذكور، وإشمام بعض الحركات(١).

والحق أن هذه الأوجه تجمع كل ما ذكره المتقدمون من أوجه الاختلاف في تأويل حديث الأحرف السبعة، يضاف إلى هذا أن معظم أمثلته هو مما ذكره المتقدمون كذلك.

ويرى بعض الدارسين المحدثين أن في نزول القرآن على سبعة أحرف إعجازاً قرآنياً، "فبدلاً من نزول آيتين أو ثلاث آيات تنزل آية واحدة بوجهين أو ثلاثة، وكل وجه منها يقوم مقام آية جديدة، فهذا إعجاز في الإيجاز واختصار الألفاظ".(٢)

خاتمة

أولى الدارسون – قدامى ومحدثون- حديث النبي (صلى الله عليه وسلّم):"أنزل القرآن على سبعة أحرف " عناية كبيرة، وعزوا إليه اختلاف القراءات القرآنية التي رواها العلماء عن الصحابة رضوان الله عليهم. وقد نبه العلماء جميعاً أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع، ورأى أكثرهم أن (الأحرف) في هذا الحديث يعني اللغات/اللهجات، وأن اللغات السبعة متفرقة في القرآن الكريم.و رأى قلة – ومنهم الطبري- أن الحرف يعني الوجه وأن السبعة أحرف تعني سبعة أوجه، وأن ما بقي عليه من قراءة القرآن وجه واحد يشمل جميع القراءات القرآنية المعروفة إلى الآن. وأجمعوا كذلك على أنها – جميعاً- مّما أخذه الصحابة الكرام من رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، ولم يكن لأحدهم أن يبتدع، أو يبدل كلمة بكلمة، بل حرفاً بحرف.

وتتبع البحث تأويلات القدماء في أوجه لغوية متعددة منها ما يتعلق بأصوات الحروف،أو بتغيير كلمة بكلمة أخرى غالباً ما تكون مرادفة لها بالمعنى.

ولحظ الباحث في تأويل الأحرف السبعة أن الاختلاف فيها هو ما قرّره ابن قتيبة من أنه اختلاف تغاير لا اختلاف تضاد، وهو لايعدو أن يكون تنويعاً في قراءة الكلمة لا يتناقض مع دلالات الآيات القرآنية التي اختلفت ألفاظها أو أصوات حروفها.و أن عدداً من القراءات التي ورد فيها اختلاف ذكره القدامى ضمن القراءات الشاذة، أي إن أكثرها لم يكن من القراءات السبعة الصحيحة التي أقرّها ابن مجاهد ومن تبعه.

وأشار البحث إلى آراء العلماء في حقيقة العدد سبعة فذهب الأكثرون إلى إرادة حقيقة العدد, وذهب القلة إلى معنى التكثير.

وأخيراً بين البحث رفض معظم العلماء للتأويل غير اللغوي لحديث الأحرف السبعة؛ لأن الاختلافات في القراءة لم تكن خلافات فقهية، بل لغوية.

---

(١) صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص ١٠٩ – ١١٢، وهناك محاولات أخرى كالتي قدمها أحمد البيلي في كتابه (الاختلاف بين القراءات) ص٥٠- ٥٢، وهي أوجه سبعة عامة استقراها ممّا وجده عند المتقدمين.

(٢) أحمد القضاة، **دراسات في علوم القرآن**، ص ١٢٥، وانظر مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص ١٤٦.